كلمة الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع
في حفل مرور تسعين عاما
على إنشاء مجمع اللغة العربية بدمشق
١٩١٩- ٢٠٠٩

أيها السيدات والسادة

إنها لمناسبةٌ تاريخية عزيزةٌ على قلوبنا إذ نحتفل بمرور تسعين عامًا على تأسيس مجمعنا. إنها ذكرى تعيدنا قبل كل شيء إلى تأسيس دولتنا، يوم دخل الجيش العربي دمشق عام ١٩١٨، يقوده فيصل بن الحسين ممثلاً والده قائد الثورة العربية المنتصرة، فخرج العثمانيون، ونصب فيصل ملكًا على سورية في ١٩١٩/٣/٨.

وما إن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، وعاد الملك من مشاورات فرساي عام ١٩١٩، حتى التفَت إلى بناء الدولة، فسمى علي رضا الركابي حاكمًا عسكريا يدير شؤونها.

وقد تبدت لرجال الحكم الوطني آنذاك ضرورةُ الإسراع في إعادة اللغة العربية إلى مختلف مجالات العمل الحكومي، بعد أن أُلبست جميع الدوائر لباسًا تركيا طيلة قرون أربعة كانت فيها سورية جزءًا من الإمبراطورية العثمانية.

وهكذا أُنشئت اللجان المختصةُ بالترجمة والتأليف، لتعملَ جاهدةً في تعريب دواوين الدولة، وإرساءِ قواعد التعليم باللغة العربية على جميع مستوياته.

وكان أن أُنشئ ديوان المعارف برئاسة الأستاذ محمد كرد علي، وتشمل مهمته مجملَ النشاطات الثقافية، وأهمها التأليف باللغة العربية، وإنشاءُ دار للآثار والعناية بالمكتبات، وخاصة المكتبة الظاهرية والمكتبة العادلية.

وحين تقرر فصلُ هيئة تسمى المجمع العلمي العربي عن ديوان المعارف، صدر القرار بإحداث المجمع في ٨ حزيران ١٩١٩، وبقيت رئاسته للأستاذ محمد كرد علي الذي انكب مع أعضاء المجمع، وهم وجوه الثقافة والعلم والمعرفة، انكبوا على إعادة سورية إلى أصالتها العربية علمًا وفكرًا وروحًا.

وإننا اليوم إذ نستذكر الأعلام الذين وضعوا اللبنات الأولى لمجمعنا، لنا أن نتساءل: كيف ظهرت هذه المجموعةُ من الأذهان النيرة، المؤمنة بعروبة طال انتظار بزوغ شمسها، كيف برزت تلك العبقريات العربية الصرفة منارات متلألئةً في بحرٍ دامس من التتريك، كيف تمّ تلاحمها في مجهود متضافرٍ، يعيد إلى العربية مكانتها في عاصمة إشعاعاتها الأولى؟

لقد أفلحوا فشيدوا خلال سنوات قليلة صرحًا متينًا متماسكًا، ينظر في الاحتياجات الجديدة للدولة الجديدة، بل للمجتمع الجديد، ويسارع إلى تلبيتها بما يسمح لهذا المجتمع أن يعود إلى تأكيد ذاته، عن طريق تعميقِ جذوره في لغته، وليس عن طريق منافحة النظامِ السياسي القائم.

لم يبتدعوا عربيةً جديدةً، بل عادوا إلى تنشئتهم الأصلية في كتاتيب دمشق ومدارسها ومكتبِ عنبر الشهير.

فلئن كانت اللغةُ التركية اللغةَ الرسمية للدولة في أمورها العامة، فقد بقيت اللغةُ العربية تحتلّ مراكز قوة لم يصل إليها التتريك، وهي المحاكم الشرعية، وحلقات التدريس في المساجد، حيث كان مشايخ دمشق يدرسون الفقه واللغةَ والأدب والبيان، والاجتماع والتاريخ والتفسير والفلسفة، هذا إلى جانب المدارس الوقفية، ومنها الجقمقية والشميصاتية

بأسمائها الرنانة، إضافةً إلى مدارس أخرى انتظم عدد منها في حي كبير في الصالحية أُطلق عليه حي بين المدارس، وهو الموصل من محلّة العفيف إلى جامع الشيخ محيي الدين بن عربي. ومازالت سجلات المحاكم الشرعية باللغة العربية منبعًا ثرا استند إليه المؤرخون المحدثون، ليتعرفوا دقائق حياة المجتمع الدمشقي، وما طرأ عليها من مؤثرات وتغيرات.

وكذلك فإن المنابر الدينية بقيت صداحةً بلغة القرآن لم تخالطْها لغةٌ أخرى، تلك المنابر التي كان يعتليها خطباء المساجد في الجُمع والأعياد، وفي مناسبات كثيرة أخرى، وقد حالت دون انقطاع الشعب عن جذوره الإسلامية، بلغته العربية لغة التنـزيل. وأهم هذه المنابرِ دون منازع منبر الجامع الأموي، الذي تعاقبت على الخطابة فيه، وتدريسِ صحيح البخاري، وغيره من كتب الحديث والفقه، عائلات علمية دمشقية أعتز بانتمائي إلى واحدة منها، تعاقب أفرادها على ذلك المنبر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكان لأفرادها شرف التدريس تحت قُبة النسر.

هذا ولابد من الإشارة إلى أن اللغةَ التركية في أية حالٍ لم تكن بعيدةً عن العربية إلا بنظامها النحوي الإلصاقي، فقد غلبت عليها الألفاظُ العربية المعبرة عن الأمور المجردة، كالاتحاد والترقي، والإدارة والحكم، والوالي والمتصرف، وكثيرٍ مثلها. إلا أن الألفاظَ التركيةَ قد سهل انطلاقَها على ألسنة الشعب تقديمها الألفاظَ المطلوبةَ جاهزةً في المجالات الجديدة التي أحدثها الحكم العثماني. وهكذا عرفنا الأحوالَ الشخصية باسم دائرة النفوس، والسجل العقاري باسم الطابو، والاستدعاءَ باسم عرضحال، والإضبارة باسم دوسيه، والآذنَ باسم أوضجي، واللجنةَ باسم قومسيون. وكذلك كانت تعرف الصيدلية باسم أجزخانة، والمستشفى باسم خستخانة، والمَخفَر باسم كَركُون، وجواز السفر باسم بازبورط، والعطلات المدرسية باسم فايدوس، إلى غير ذلك من الأمور الهامة المأخوذة من نظام دولة ضمت بلاد العرب إلى جزء كبير من أوربا الشرقية. وقد قام المجمعيون آنذاك بإيجاد الأبدال العربية المناسبة والقائمة اليوم.

لقد اجتمعت هذه الثُّلّة الباهرة من الأعلام برئاسة الأستاذ محمد كرد علي تحارب على جبهتين في كفاحٍ مرير لتثبيت الهوية العربية على الدولة السورية الناشئة.

فقد كانوا في سباقٍ منهك مع المحاولات الجادة التي كانت تبذلها السلطات الفرنسية لإحلال اللغة الفرنسية محل التركية المُزاحة.

إذ كانت اللغةُ الفرنسية آنذاك لغةَ الغالب، القاهرِ لثلاث إمبراطوريات أوربية: الألمانية والروسية والعثمانية، لغةً تحمل ثقافةً عالمية سادت أوربا بعد عصر التنوير، تنقل أفكار مونتسكيو في شؤون الدولة، وفلسفةَ ديكارت، وفلكيات لابلاس، وكشوف باستور. ثم إن الفرنسيةَ كانت يومها لغةَ الملوك ولغةَ الدبلوماسية، تعتمد لتحرير المعاهدات الدولية كمعاهدة فرساي، وهي لغةُ الأدب والمسرح والشعر، انطلقت منها الحركةُ الرومانسية في مجالات الأدب والفن. وقد أصر الفرنسيون على تعيين مستشارٍ فرنسي في كل وزارة من وزارات الدولة لعلّهم يصلون إلى جعل الفرنسية بديلاً عن التركية فيها.

إلا أن ما جهر به الفرنسيون كان ما أصروا عليه من ضرورة جعلِ تدريس الطب في المعهد الطبي باللغة الفرنسية. وهكذا خاض المجمعيون معركةً حاميةَ الوطيس في دعمهم للدكتور رضا سعيد مؤسس الجامعة السورية، بأن يكون التدريس باللغة العربية وليس بغيرها. وهذا ما ألقى أعباءً جلّى على كاهل أساتذة المعهد، وفي طليعتهم الدكتور مرشد خاطر عضو المجمع، والدكتور أحمد حمدي الخياط، والدكتور جميل الخاني الذين تولوا مهام وضع المصطلحات التي يحتاج إليها مدرسو العلوم الأساسية، كالكيمياء والفيزياء والتشريح، إضافةً إلى مصطلحات الأمراض والعوامل الممرضة، وغيرِ ذلك من الأمور الدقيقة الهامة التي لا يستقيم تعليم الطب دون تحديد عناصرها.

فقد كانت السلطات الفرنسية ترى أنه يكتفى بوجود المدرسة الطبية الفرنسية في بيروت لتوفير احتياجات البلاد في المجالات الطبية، غير أن مسارعةَ الأساتذة إلى توفير المتطلبات الفكرية واللغوية دون أي إبطاء، قد قطع الطريق على كل من كان يتذرع

بعدم صلاحية اللغة العربية لتدريس العلوم مبررًا للانتقال إلى اللغة الفرنسية.

هذا وما فتئ الجاحدون ينكرون على اللغة العربية ما لها من طاقات برزت طيلة عهد عالميتها، حين اجتذبت أجيالاً من أقوامٍ أخرى وجدت فيها منطلقًا فذا إلى مجال معرفي كان يحتلّ موقعًا كونيا فريدًا، متجاوزًا بقعة الناطقين بها. فلقد كانت اللغة العربية حاملاً مثاليا متميزًا لثقافة استوعبت جميع المجالات الفكرية التي تشكل الأسس العميقة لما يتوق إليه الإنسان للارتقاء بإنسانيته، والانطلاق من معرفة نفسه إلى آفاقٍ روحانية إيمانية.

وهكذا فقد وجد الأساتذة مصطلحات عربيةً مصقولةً في مختلف العلوم، أخذوها من كتب ابن سينا والفارابي، وابن زهر وابن النفيس، وابن الهيثم والزهراوي، وأضافوا إليها ألفاظًا اشتقّوها من جذور عربية، أو نحتوها بحيث تتسق مع مقاييس العربية.

وحقيقة الأمر أن دمشق كانت قد عرفت خمسة معاهد طبية عربية بين عام ٥٥٠هـ وعام ١٣٠١هـ، كما أدرجها أستاذي الكبير الدكتور مرشد خاطر في مقال له في مجلة المعهد الطبي العربي. وهي المجلة التي ظهرت عام ١٩٢٤ واستمر على تحريرها منفردًا مدةً تربو على ثلاثين سنة. فأول هذه المدارس البيمارستان النوري أنشأه السلطان نور الدين الشهيد عام ٥٥٠هـ، ثم تلتها المدرسة الدخوارية، ثم المدرسة اللبودية النجمية، ثم المدرسة الدنيسرية، ثم المدرسة الصلاحية. وكان التدريس في تلك المدارس يستند إلى كتب التراث الطبي العربي، وقد استمر نشاط البيمارستان النوري حتى عام ١٣٠١هـ.

وبعد ذلك أنشأ الأتراك المعهد الطبي العثماني في دمشق عام ١٩٠١م، وهو الذي انتقل إلى بيروت طيلة الحرب العالمية الأولى، ليعود إلى دمشق عام ١٩١٩ معهدًا طبيا عربيا إبان الحكم الفيصلي.

ولعلها مناسبةٌ أذكر فيها ما لا يعرفه إلا القليل عن الدكتور مرشد خاطر، وهي أنه كان قد درس الطب في المدرسة الفرنسية في بيروت، وهو من «بتاتر» قرب عاليه، وكان مجندًا في الجيش التركي حين وقع في أسر القوات العربية الزاحفة إلى دمشق. وقد روى لي كيف استدعي إلى خيمة الأمير فيصل الذي عرض عليه الانضمام إلى الجيش العربي، وكان أن دخل دمشق مع الجيش العربي وشارك في تأسيس المعهد الطبي.

لقد انبرى المجمعيون يتصدون لجميع علوم العربية، مؤكدين ضرورة تسهيل التقرب من الفصحى في جميع ظروف الحياة اليومية ما أمكن لذلك سبيل، وهذا ما جعلهم يتجاوبون مع متطلبات العصر، فهيؤوا الألفاظ المقابلة للألفاظ التركية السائدة في الحياة العامة، وكذلك للألفاظ الأجنبية التي دخلت مع الانتداب الفرنسي.

وحين أُنشئت كلية الآداب في جامعة دمشق، كان على المجمعيين أن يلتفتوا إلى متطلبات المجالات الفكرية الحديثة، فرأينا الأستاذ جميل صليبا يتولى أمور مصطلحات الفلسفة، والأمير مصطفى الشهابي مصطلحات الزراعة، والدكتور عبد الكريم اليافي مصطلحات علم السكان وعلم الاجتماع فيما بعد، وهذا إلى جانب الدراسات اللغوية والأدبية لأمثال خليل مردم بك، وعبد القادر المبارك، وشفيق جبري، وعيسى إسكندر المعلوف، وعبد القادر المغربي. ولم تنحصر مهام المجمع منذ تأسيسه في أمور اللغة دون غيرها، فقد قام رئيسه بإنشاء دارٍ للآثار تكون حرزًا يحمي نتاج الأمة الحضاري، والتفت إلى تجهيز المكتبة الظاهرية بكتبٍ حديثة تضاف إلى كنوزها التراثية.

لقد كان مجمعنا حاضرًا في وجدان الأمة منذ إنشائه، وهذا ما جعله يحمل على موجة عارمة كانت تجتاح البلاد بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، موجة تسعى إلى استعادة الهوية العربية، وإلى التمسك باللغة العربية رابطًا بتراث مجيد، وقد بدت الجماهير متكاتفةً في صون ذاتيتها الثقافية من الانجراف مع عاصفة التغريب، التي

أرادت أن تلحق البلاد بالحضارة الأوربية المتسلّطة على مقدرات الشعب كما فعلت في الجزائر. فقد وقفت المؤسسات التربوية والتعليمية والرسمية صفًا واحدًا مع أفراد الشعب في مطلبها هذا، وهنا يكمن سر التعريب السريع الذي رافق الاستقلالَ دون إبطاء، وهو وراءَ وقوف المجمع ورئيسِه صامدين في تصديهم لتيارات خفية كانت تعصف بالبلاد، تريد النيلَ من أصالتها، وتهجينها ليسهل التحكّم بمقدراتها.

فقد روى الأستاذ سعيد الأفغاني(*) قصةَ مقابلة له مع مرغوليوث، المستعرب البريطاني المعروف، في حديقة الأستاذ محمد كرد علي، يتبين منها أنّ مرغوليوث كان موفدًا من قبل حكومته ليبيت ليلةً في دمشق، وثانيةً في القدس، ليحطّ الثالثةَ في مطار طهران، على موعد مع الشاه. يقول الأستاذ الأفغاني: «رأيته يهجم على موضوعه دون تلبث، فيناقش الأستاذ كرد علي: ما الذي أبطأ بالبلاد العربية على الاقتداء بتركيا في اتخاذ الحروف اللاتينية؟ ولمَ أضاعوا على أنفسهم هذا الرقي الباهر؟ فأجابه الأستاذ بلطف وصدرٍ واسع- على قلّة صبره على سماع مثل هذه الرسائل- مشيرًا إلى خطأ هذه الفكرة، وأن وراءها أضرارًا على العرب لا تحصى، وأن الأتراك أنفسهم قد أضاعوا مركزهم في الشرق بتبديل حروفهم. فمارى مرغوليوث في كل ما سمع وقال: إن أملَه وطيد في أن يحذو الشاه حذو أتاتورك، وإن العرب لا يحملهم على تغيير كتاباتهم إلا حاكم قوي مثل أتاتورك أو الشاه بهلوي، وهو مسافر إلى طهران لدراسة أسباب تأخر الشاه عن المبادرة إلى فرض الأحرف اللاتينية».

إنها وقفةٌ مشهودة في الدفاع عن العربية، وقفةٌ تدرأ عنها أخطار السياسات الاستعمارية المتكالبة على الوطن العربي، وتبعد عن اللغة العربية أشباح ما حلّ بالأتراك الذين فقدوا الصلةَ بتراثهم ولم يتمكنوا من جني مكاسبِ الالتحاق بالغرب.

(*) سعيد الأفغاني ١٩٧١من حاضر اللغة العربية ص١٨٣.

أيها السيدات والسادة

هذا غيض من فيضٍ ما قام به أسلافنا في هذا المجمع، الذي أضحى تأسيسه سنةً سارعت إلى اتباعها الأقطار العربية الأخرى، فقد أنشئ المجمع العربي الثاني في مصر عام ١٩٣٢، وتتالى إنشاءُ المجامع إلى أن بلغ عددها تسعةَ مجامع عربية.

وإني في وقفتي في هذا المقام محتفلاً بمرور تسعين عامًا على تأسيس مجمعنا، لا يسعني إلا أن أنحني بكل إجلال وإكبار وتقدير، أمام ذلك المجهود الجبار الذي أوصل أسلافنا الأوائل إلى ما أنجزوه في سنوات قليلة من إرساءٍ لجذور التعريب الإداري والعلمي والاجتماعي، مؤكدًا إعجابي بما بذلوه من جهود في خدمة العربية، سعيًا وراء إيصالها إلى المكانة الجديرة بها في الاستجابة لمتطلبات العصر. وكنت قد شرفني المجمع بانتخابي عضوًا عاملاً عام ١٩٧٩ خلفًا لأستاذي الدكتور أسعد الحكيم، بترشيح من أستاذي الكبير الدكتور حسني سبح وكان رئيسًا للمجمع.

وإنه ليشرفني في هذا المقام اليوم أن أكون ممثلاً لمجموعة من الأخيار، تفضلوا وأسبغوا علي صفةَ المتقدم على أقرانه، لأسير برفقتهم نحو انفتاحِ مجمعنا على العلوم الحديثة. فهم من أنفق الجزءَ الأكبر من عمره في التعليم الجامعي، وتخطيط البحوث الجامعية، والإشراف على الدراسات، ومنهم من انضم إلى مجمعنا حاملاً تخصصات لا عهد للمجمع بها. وإنه لمسار شاق وطويل نأملُ أن تتضافر جهودنا للإسراع بالخطوات التي توصلنا إلى مسايرة العلوم الحديثة في تطورها السريع، وجعلها في متناول أبنائنا.

نحن لا نقبل أن يقالَ بوجود مشروعٍ يدخلنا إلى مجتمع المعرفة. فكيف تكون اللغةُ العربية قد خرجت من مجتمع المعرفة والعرب من بناة دعائمه، والثقافةُ العربيةُ الإسلامية أُس استندت إليه الحضارات المسيطرة على عالم اليوم، ومازال تراثُنا يفخر بكتبٍ اعتمدت منطلقًا للعلوم الحديثة، وبقيت ألفاظُها العربية مدمجةً في لغات العالم؟

إن المعرفةَ لم تغادر ثقافتنا التي تعيشها مجتمعاتنا، وكل ما علينا القيام به هو استدراك ما فاتنا طيلة سنوات عديدة من عزلة فرضتها صروف الدهر.

فقد بقيت معرفةُ العلوم التراثية العقلية والتطبيقية حيةً لم يخب تألقها، إلا أنها انقطعت عن مسارٍ مادي سلكه العالمُ المتحضر، بالاعتماد على كشوف علمية أنتجت وسائلَ أضافت إلى حياة الإنسان أمداءً لم يكن ليدركها دون ذلك. وقد وصلت إلينا تلك المنتجات جاهزةً لم نشارك في صنعها وتطويرها فبعدت الشقّة بين علومنا وعلومهم.

أفلح المجمعيون الأوائل في سلوك طريقة عجلى أوصلتهم إلى تعريب العلوم، الذي هو مفتاح تفهم العلوم الغربية، ومرقاةٌ إلى المشاركة في تطويرها. ذلك أنهم كانوا ينعمون بتأييد الدولة والمؤسسات الرسمية وجماهيرِ الشعب، لشق الطُرقِ السريعة الموصلة إلى التعريب الشامل، متجاوزين أُميةً كانت متفشيةً في البلاد.

ونحن اليوم إذ ننعم برعاية الدولة لمهمتنا في خدمة اللغة العربية، منذ خطاب القسم للرئيس بشار الأسد، الذي أكّده في القمة المنعقدة في دمشق، وألحقه بقرارٍ يفتح الطريق أمام التمكين للغة العربية، نواجِه مصاعب جمةً في إعادة الاعتبار إلى لغتنا محورًا لحياة مجتمعنا.

فهناك تيارات خفيةٌ من نوع جديد تعصف بأدمغة شبابنا ومثقفينا، الذين تنكروا للغتهم، واستظهروا أصالتهم، ليعطوا كل الاعتبار للغة واحدة تحاول أن تفرضها العولمةُ على جميع المجتمعات. والعولمةُ كما يقول محمد عابد الجابري(*) «نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن، نظام يريد رفع الحواجز والحدود، إنه نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية للأمة من أي محتوى، ويدفع إلى التفتيت والتشتيت».

(*) محمد عابد الجابري ١٩٩٨ العولمة والهوية الثقافية ص٢٢.

إن ما نراه من غَلَبة التعابير والتراكيب الأجنبية على ألسنة شبابنا، وما يكتبونه من عربية سوقية بحروف أجنبية في مراسلاتهم على الهواتف الجوالة والفضائيات، وما يعجبون به من أسماء أجنبية على المَحال التجارية، وهم يجهلون معناها، وكذلك ترجيحهم للتعليم باللغات الغربية بديلاً عن العربية، كلها أمور تجعلنا نتساءل عن المستقبل الثقافي لهذا الجيل المتنكر للغته، وعن أسباب هذا المسلك. أهي نظرةٌ دونية إلى اللغة العربية، أم هي على العكس شعور بالصغار أمام الحضارة الغربية التي تحملها تلك اللغات؟ هل نحن نواجه هزيمةً داخلية عند الشباب، وقد برزت نتيجةً لمغالبة مع واقعٍ تزداد الصعوبات فيه، فينسبونها إلى لغتهم العربية، يتهمونها بالتقصير في إيصالهم إلى الفردوس الغربي؟

نحن لا ننكر أهميةَ الانفتاح على اللغات الأجنبية، بل الولوج إلى صميم آدابها لنستفيد من تجارب تلك الشعوب، كما أننا لا نطلب الانغماس في اللغة العربية لغةً منـزهة مبجلة، ولا نصر على تملّك شعرها وأدبها وإدراك دقائق جمالياتها لمن لا يستهويه ذلك، بل إن كل ما نصبو إليه هو أن نعيد اللغةَ العربية إلى وجدان الأمة، ونبعد عنها الاتهام بأنها من أدوات التخلف. لا نقبل أن يستهان باللغة العربية وطاقاتها، فهي في حقيقتها من أقوى اللغات في العالم قدرةً على التطور والاستيعاب، بفضل ما تتميز به من ليونة اشتقاقية، وغزارة في الجذور وفي المقاييس اللغوية، فلا يجوز أن نحمل لغتنا تقصير أبنائها في خدمتها.

إن قبولَنا لتلك التصرفات الشاذة، ولإخراج لغتنا من حلاوة التعامل اليومي على جميع المستويات، أمر يقف حجر عثرة في طريق تطابقها مع متطلبات العصر، فاللغة حقا هي الحامل الوحيد لكل علم ولكل معرفة.

لابد من العودة إلى الارتباط الروحي باللغة، إذ إن اللسانَ هو صورة عقل المتكلم،

وكل مماطلة في التمكّن من اللغة يبعد الناطق بها عن تربية الحس اللغوي وتهذيب السليقة، وتصفية الذوق والتمتع بجماليات اللغة.

إنها لغة العلم والأدب، تحرك بحور شعرها أعمق السواكن في الإنسان، وقد أعيت بلاغتها وإيجازها براعةَ المترجمين حين أرادوا نقل القرآن الكريم إلى لغات أخرى، بل إنهم تجشموا الصعاب حين أرادوا نقلَ قول ابن عربي(*) «سبحان من خفي في ظهوره وظهر في خفائه»، أو نقلَ الأقوال المأثورة في الحث على القتال: «هالك معذور خير من ناجٍ قَرور، المنية ولا الدنية».

إن الصور التي تختزل في كلمات، موفورةٌ في لغتنا وقليلة في اللغات الأخرى، كقول السهروردي:

عودوا بنور الوصل في عَسق الجفا فالهجر ليلٌ والوصـال صـباح

أيها السيدات والسادة

لقد انتظم المجمعيون الأوائل عقدًا ثمينًا جعل المجمع يذوب في بريق عبقرياتهم، كسِلك الدر يخفيه النظام، فبقيت لنا مساهماتهم تنير طريقَنا في مسعانا لبذل ما نستطيعه لمضاهاة ما صنعته تلك النفوس الأبية والهمم العلية في خدمة اللغة العربية.

نحن ندرك ما يحيق بلغتنا من تهديدات وتحديات

فأما التهديد فَقَدمنا راسخةٌ في التصدي له

وأما التحديات فإننا نواجهها بالصبر والأناة والدقة في العمل، مؤمنين بلغة لا تطولها الشبهات في مقدرتها على مطاوعة كل اتجاه يسلُكه الفكر.

وإن مجمعنا اليوم ينظر إلى التوسع في اهتمامه بذلك السيل المعرفي العالمي، الذي

(*) محيي الدين بن عربي: الفتوحات المكية ج٢ ص٥٥٢.

خطّ أثلامًا عميقة في معظم العلوم، فجعلها تنـزِلُ من عمومياتها إلى تفصيلِ العناصر المكونة لعالمنا، وتعيد النظر فيما كان قائمًا كمسلّمات، لتعود إلى إنتاج دراسات موعبة لدقائق الجزئيات في الكون، وتعيد الاعتبار إلى موقع الإنسان في عالمٍ بدأت تتداعى الأسوار التي كانت تحول دون فهمه لكثيرٍ من أسرار الخليقة.

وهذا ما دعانا إلى تأكيد ضرورة تشكيل لجان جديدة تتصدى للحقائق العلمية الجديدة، في حقولٍ معرفية ملحة، كالبيئة والمعلوماتية، واللسانيات وعلم الإنسان، والعلوم الاجتماعية والأدب المقارن، وغيرها من المجالات التي تحتاج إلى مصطلحات مبنية على دراسات دقيقة تعطيها قاعدةً متينة في بحر اللغة العربية.

وقد أحدثنا منذ سنوات قليلة هيئةً فنية مكونة من أفراد جامعيين يتابعون دراساتهم العليا، ويكونون أعوانًا على أعلى المستويات للمجمعيين، في دراساتهم التي تحتاج إلى استقصاءات في النصوص وتوثيقٍ لمصادر البحوث.

وسوف يسعى مجمعنا إلى إتمام مهمته المُلحة في توحيد المصطلحات التدريسية المستعملة في الجامعات السورية، تأكيدًا لوضع التعريفات الدقيقة التي يستند إليها كل بيان علمي.

إن مسعانا في إعادة اللغة العربية لغةً حاملة للعلوم على اختلافها، مساوقةً لها في تطورها، وأداةً للنهوض بمجتمع قد جار عليه الزمان، وأثقلت كاهلَه تقلّبات الظروف، إنما يهدف إلى احتواء أجيالنا الجديدة في نعماء بلادهم، لإبعادهم عن الشعور بالصغار أمام القوى العالمية، كي لا يكونوا هدامين لتراثهم كناقضة الغزل، ولا يتنكّروا لذاتيتهم الثقافية، بل يقوى شعورهم بالانتماء إلى ثقافة شامخة يستظلّونها، وتدخل معالمُها إلى صميم أفئدتهم.